اخوان الادب

شكري الفضلي

Chukry Fadhly.

(٢)

شخصيته الادبية ومبادئه :

ان نشأة الفضلي الادبية وشغفه بالقراءة والكتابة سهلا له الاطلاع على كثير من الكتب والرسائل التي الفها المفكرون الاحرار من الترك والعرب وضمنوها صرخات اليمة من الظلم والاستبداد ، كما ان اشتغاله بالصحافة وصله بالحركة الفكرية في الاستانة والقاهرة وبيروت ، فتأثر بهذه البيئة واكتسب نزعة حرة حميدة جعلته من المنظورين اليهم بعيون مرتابة من صنائع السلطان عبد الحميد واعوان الظلم ، حتى اتهم قبل مايزيد على

هذه القمة الى نقطة ملتقاها بخط تقسيم المياه الواقع بين حوضي نهر (حاجي بك) ورافده الذي ينمر من شرقي (اوبا) تماما وبعد ان يتبع خط تقسيم المياه المذكور يسير رأسا الى نهر (حاجي بك) ثم يسير مع نهر (حاجي بك) معاكسا الجريان الى الحدود الايرانية .

العشرين سنة بانه يذيع المبادىء الحرة وينقد اعمال السلطات الملكية والعسكرية فسجنه الفريق رفيق باشا في كركوك ولدى محاكمته في ديوان خاص مدة شهرين برئت ساحته .

وسجن بعد سقوط السلطان عبد الحميد الثاني واعتلاء محمد رشاد الخامس عرش السلطنة العثمانية يوما واحدا في دائرة الشرطة بتهمة تمهيده سبيل الفرار لاحد الاحرار من معارضي حزب الاتحاد والترقي ، واطلق سراحه بجهد عظيم . ثم اتهمه في عهد الدستور جمال بك والي بغداد المشهور بعسفه وطغيانه بجريمة سياسية مع لفيف من الرجال المعروفين في مدينة السلام المخالفين لحزبه الاتحادي وطلب ارسالهم جميعا الى فروق لمحاكمتهم في « الديوان العرفي » فتوسط في الامر المرحوم محمد فاضل باشا الداغستاني ففك عقاله والمتهمين معه .

والباعث على ان تحوم حول فقيدنا شكري هذه التهم ، سعيه في انشاء فرع لحزب « الحرية والائتلاف » في بغداد وهو الحزب المعارض لحزب « الاتحاد والترقي » وتشنيعه بمآتي الاتحاديين وقدسيق مرات الى المحاكم وحوكم لمايظهر في مقالاته المنشورة في الصحف العراقية من نقد السياسة الاتحادية الخرقاء حتى شاع في خلال الحرب العظمى انه قد شنق مع من شنق من احرار

العراقيين في باب « المعظم » وذكر ذلك فائز بك الغصين في كتابه « المظالم في سورية والعراق والحجاز » المطبوع سنة ١٩١٨ صحيفة (٨٦) .

اما بعد الحرب العالمية فلم تبد منه اية نقمة على السلطة بل بعكس ذلك لمقالات عديدة يشعر منها انه كان من محبذي الوضع السياسي الراهن في البلاد .

***

واذا نظرنا الى شخصيته الادبية واسلوبه نجده بطبيعة نشأته وثقافته اميل الى المذهب القديم منه الى الجديد فقد كانت عنايته باللفظ دون العناية بالمعنى . وطالما قرأت له سطورا عديدة فيها فكرة واحدة يمكن ابرازها في جملة واحدة لاغير . الا انه كان ممن يحبذون النقد وما اجتمعت به مرة الا وتطرق الى النقد الادبي وذكر كستاف فلوبر Gustave Flaubert و« تين » Hippolyte Taine وغيرهما من اعلام النقاد الفرنسيين وقد عرفهم في ما ترجم لهم او عنهم الى اللغة التركية.

وقد عالج الاديب الفضلي النظم بالعربية والتركية والفارسية والكردية . واقول عن نظمه العربي فقط اني لم المس فيه شاعرية انما هي جمل موزونة ومقفاة قد يحسن حبكها في الاحايين . مع

ان له في النثر كتابة فصيحة تحوي مادة ، ومادة غزيرة في بعض مقالاته وابحاثه .

* * *

ومبدأه الاجتماعي اشبه بمبداه الادبي . وسط بين المحافظين والمتجددين فهو يمتدح السفور ويفضله على الحجاب ولكنه لو تزوج لما رضي ان تسفر زوجته .

وبتأثير ثقافته في كتب العرب العتيقة تلبس الدعوى بان العرب هم اصل المدنية البشرية وان آدابهم لا تعلوها آداب وانه ليس هناك علم ولا فن الا لم يغادر فيه الاسلاف لمن اتى بعدهم من متردم . الى غيرها مما ادرك النقدة الراسخون من العرب انفسهم في هذا الزمان انها من الدعاوي الباطلة التي تعد سبة في نظر اهل التحقيق العلمي .

وكان شكري الفضلي يتبرم من الغرب وسطوته المادية ويتحرق ان لا يكون للشرق قوة تتمكن من ان تصد هجمات الغرب عليه الا انه لم يكن يعتقد بان العواطف والتهور يغنيان الشرقيين او العرب عن تطلب القوة من ابوابها والسلوك الى المجد في طرقه كما ان لاحلام « الجامعة الاسلامية » و « العصبة الشرقية » و « الوحدة العربية » حيزا كبيرا في دماغه ولهذا رأينا خيالاتها

مرسومة في كثير من مقالاته اليومية في الجرائد .

* * *

أما أخلاق المترجم عنه فقد عرفت فيه هدوءا ولطف معشر ورضيا وجلدا وضبط نفس ، وكم تمنيت لو تجافى عن الابعاد بين فكره ولسانه احيانا ، فكثيرا ما زرته في ايام اشتداد النضال القلمي بين رجال القديم وانصار الجديد فلم يكن يبدي اي تأثير من المطاعن الموجهة الى صديقه ، ولما كنت الح عليه في إبداء الرأي كان يتنهد ويقول: لا يمكنني ان اصرح بالحقيقة التي اراها وإلّا القلبت صداقتي للجماعة الى خصومة .

وكان ربعة يميل الى الطول ، حنطي اللون عظيم الهامة ، عرف باطالة التفكير وقلة الكلام كما عرف بشدة تمسكه بمعتقداته وآرائه مع اعتداد بالنفس . وقد ولع رحمه الله بالدخان — وغير الدخان — مما يتمحل متعاطوهما عذر طرد الهم ولكنهما اضرا بصحته ونهكا قوى جسمه فعجلا في منيته في ١ حزيران ١٩٢٦ فحرمت امته خدماته المفيدة .

آثاره :

لقد اشتغل فقيد الادب العراقي شكري الفضلي بكتابة المقالات كثيرا ونظم القصائد نادرا ولم يتفرغ لتأليف كتاب برأسه إلّا

تاريخه الذي صرف له قسما كبيرا من جهده و ادركه الحمام قبل ان ينشر على الناس شيئا منه ، لهذا اعد له « تاريخ العراق قديما وحديثا » مع « ذيل في جغرافية العراق التاريخية » اثرا خطيرا و اطلب الى ذريته ان يبحثوا عما خطه من هذا الكتاب لطبعه و ان لم يكمله لانه قد اعتمد على جملة مؤلفات غالية في اللغات الفارسية والتركية والعربية ونقب في بعض المخطوطات وجعل جل همه ان يكتب تاريخ فترة غامضة من تاريخ هذه البلاد من سقوط بغداد بيد التتر الى اواخر العهد العثماني و كانت غاية امنيته ان ينجز هذا الاثر الثمين .

وله مؤلف علمي باسم « مكتبة الفضلي » ينكسر على بضعة اقسام في « طبقات الارض » و « الحكمة الطبيعية » و « الكيمياء » و « الفلك » و « علم النفس » و « الهندسة » وقد استمد اكثر نظرياته فيه من الكتب التركية الحديثة المترجمة عن الآثار الاجنبية مع بعض الشيء عن كتب العرب القديمة .

ويمكن ان يتكون من منظومه ديوان شعري نسميه « ديوان الفضلي » .

وإذا جمعنا مقالاته المتفرقة في السياسة و الاجتماع في مجموعة تألف منها مجلدان كبيران و كان يحدثني يوما عن هذه المجموعة

وهو يتردد في تسميتها فاقترحت عليه ان يسميها « نظرات سياسية واجتماعية » فاجابني : « ليكن لها العنوان الذي تراه ».

***

وقد أقام له « منتدى التهذيب » في بغداد عصر يوم ٢٥ حزيران ١٩٢٦ حفلة تأبين خطب فيها بعض الادباء والقى فيها كاتب هذه السطور ترجمة الفقيد هذه وختمها بقوله :

هذا هو الاديب الفضلي الذي اجتمعنا اليوم لنحيي ذكراه واني لاقدر خدمة منتدى التهذيب للادب في احياء هذه الحفلة فهي مفخرة للمنتدى واشادة بذكر الفقيد الذي لم يلق في حياته لذة يصدق عليها وصفها بالطيبة وذلك جزاء الجهود ، فلا اقل من ان يعرف له ابناء امته فضله وعسى ان اجد فيكم من تأخذه الحمية على الادب والادباء فيتبرع بطبع كتاب يضم ما قيل فيه مع نخبة صالحة من آثاره .

في ذمة التاريخ ايها الصديق الراحل !

رفائيل بطي

***

معنى اسم بغداد

Etymologie du mot Baghdad

سألنا احد الادباء ان نفيده عن معنى اسم بغداد فنقول .

قد بحثنا عن هذا الموضوع في مجلتنا هذه لغة العرب من ذلك في ١ : ٣٨٧ـ ٣٩٢ وفي ٢ : ٥٤٩ و٥٧٤ وفي سنتها الثالثة ايضا في ٤٠ ـــ ٤١ وفي هذه السطور الاخيرة رأي الدكتور هرتسفلد الشهير .

وقد طالبنا الى صديقنا الاديب يوسف غنيمة ان يوقفنا على ما وصل تحقيقه في هذا الموضوع فكتب الينا ما هذا نصه :

جاء في المعلمة البريطانية عن قدم بغداد ما انقله الى العربية وان كان بعضه قد ورد في مقالات لغة العرب في سنواتها الثلاث التي مضت . قالت المعلمة :

«بين حدود المدينة نفسها وعلى عدوة دجلة الغربية بقايا متراس لاحظها السر هنري رولنصون لاول مرة سنة ١٨٤٠ عند هبوط المياه وكانت مشيدة بالاجر وملاطها من القار وفيها كتابة من عهد نبوكدراصر ملك بابل .

كانت بغداد مدينة بابلية قديمة يرتقي تاريخها الى الفي سنة قبل الميلاد على ما يحتمل . وجاء اسمها في القوائم المكتشفة في خزانة اشور بنيبل وورد ايضا ذكرها في صخرة ميشو Michaux التي وجدت على دجلة قرب موضع المدينة الحالية ويرجع تاريخها الى عهد تغلت فلاسر الاول (١١٠٠ ق م) .

لقد اوضح متراس نبوكدراصر المذكور امرا وهو ان مدينة «بغدادو» القديمة كان موضعها في موقع بغداد الغربية او بغداد العتيقة

ان مآخذ التلمود اليهودي تبين ان المدينة كانت باقية في بدء التاريخ الميلادي وبعده . اما اذا اعتمدنا على كلام مؤرخي العرب فالظاهر منه انه لم يبق في ذلك الوضع إلا دير قديم حينما اسس الخليفة المنصور المدينة الغربية . على ان الانسان قد يشك في صحة هذه الرواية الحرفية اذ ان من الواضح ان اسم الموضع كان